''الوهن : أسبابه ومسبباته وعلاجه ''

(دراسة في ضوء القرآن الكريم.) (الجزء الأول)

*أ- د- منظور بن محمد بن محمد رمضان محمد

ABSATRACT:

Notes through the reality of the process the lives of Muslims, deficiencies in the performance of duties as well as mustahabb, and this indicates the presence of a defect in motivation, both in terms of look to the Excellencies request, or contest the good guys in good works, perhaps due to the disparity Hmmm selves and the amount of patience and rigidity to withstand hardships accomplish tasks, have been told: from Loud mettle long his main concern, and is creating a weakness for being one of the very end of morality based on inaction and failing to achieve the interests of religion and the world, and the base of apathy and submissiveness for ambition and aspiration to the top, and if coupled with ignorance and stupidity and folly, the acts with scientific life The process is a wise and beneficial, and where the weakness in control of the souls, the actions pursued in the results, what I missed souls for control of God and indulged behind its ambitions, and Astsgrt values and HH souls, Astrechst life of splendor and Alaabah, and ambitious young people and Hmmanm killed only weakness, and dawdle people call only because of apathy, and was one of the greatest interruption of the Senate to continue the course of obedience trip for the remainder of the old submissiveness and weakness, and only Almohnon of request more world and the Hereafter, but due to the weakness Rcnhm.ؤؤؤ

May Allah bless our Prophet Muhammad

* الأستاذ الدكتور بقسم الدراسات الإسلامية بالكلية الجامعية جامعة أم القرى.

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان أما بعد:

فإن "الوهن" خلق جبلي ومكتسب، يشمل وهن الخَلْق، قال تعالى: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} (مريم 4) ووهن الخُلُق: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ} (آل عمران 146) وتبقى إرادة الإنسان من منطلق توجيهات الإسلام، ثم بصدق عزيمته ببذل جهده للوصول إلى ذروة الكمال لا سيما في الأمور الشرعية، أو في مجابهة حياة الدارين بصفة عامة، اقتداء برسل الله عليهم السلام الذين أخبر عنهم: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ} (الأنبياء:90) {أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} (المؤمنون:61) يتغلب على الوهن إلى قوة دافعة نامية تضاعف قوته، وتكسبه حياته الجد والصدق والإقدام والانتظام، تطلعا وطموحا إلى شموخ النجاح والعز والكرامة، وإلى هذا وجه القرآن الكريم: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (آل عمران 139) {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} (محمد 35) وقال : (المؤمن القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز) [1] وحين يركن الإنسان إلى حياة الدعة، وتخلو حياته من الجد ومن الهدف، فسبيله الضياع: {وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلاً} (الإسراء:72) فيصنف في قائمة المتأخرين: {وَقَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ} (العنكبوت:39) وقد حذر الله من عواقب الوهن والفتور فضرب لنا مثلا بأبينا آدم عليه السلام: {وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْماً} (طه:115) فكم ممن آثر الوهن فضيع الجد وفقد الحزم، ففقد المضي قُدُماً، فقعد ملوما محسورا، غدت حياته أشبه بزخارف وتزويقات سرعان ما تذبل متأثرة بالمتغيرات، وتشتد الحاجة لا سيما في عصر المتقلبات إلى بيان خطر الوهن بالتوجيهات القرآنية وبالتوجيهات النبوية وما له من آثار وخيمة على نجاحات الإنسان في حياته العلمية والعملية في الدارين.

خطة البحث: تتألف خطة البحث من: مقدمة، وتمهيد، أربعة فصول، خمسة عشر مبحثا، وخاتمة.

المقدمة: وفيها أتحدث عن: عنوان البحث، موضوعه، أهميته منهجي فيه، أهداف البحث.

التمهيد: ويشتمل على: حديث القرآن الكريم عن خلق الوهن.

الفصل الأول: مفهوم الوهن في القرآن الكريم أسبابه ومسبباته وعلاجه.

المبحث الأول: من أسرار ورود كلمة الوهن، المبحث الثاني: وروده في القرآن الكريم، المبحث الثالث: بعض الألفاظ قريبة الدلالة.

الفصل الثاني: أسباب الوهن.

المبحث الأول: دوافع الوهن، المبحث الثاني: مغريات الحياة وتطلعاتها، المبحث الثالث: الوهن ومباهج الدنيا، المبحث الرابع: الوهن وتوقعات المستقبل.

الفصل الثالث: مسببات الوهن.

المبحث الأول: من آثار الوهن: (تأثر العقيدة، تأثر العبادة، تأثر العلم، تأثر سجايا النفس) المبحث الثاني: الوهن ودسائس الإغراءات، المبحث الثالث: أثر الوهن والضعف الخَلْقي.

الفصل الرابع: علاج الوهن ووسائل مقاومته.

المبحث الأول: أثر القيادة الواعية في رفع معنويات الضعفاء، المبحث الثاني: خطوات علاج الوهن لتحقيق الطموح، المبحث الثالث: تصوير فهم السلف لمصادر القوة ومكامن الوهن، المبحث الرابع: نشر ثقافة مقاومة الوهن بين أفراد الشعوب بمفهوم العصر الحديث، المبحث الخامس: صور من تطبيقات السلف في مقاومة الوهن.

خاتمة: وتشتمل على: الأهداف التربوية في البحث، مستنبطات البحث، نتائج وتوصيات الدراسة، فهرس المصادر والمراجع، فهرس الموضوعات.

مجمل حديث القرآن الكريم عن الوهن: يلاحظ في واقع حياة المسلمين بسبب مغريات المادة وطغيانها تقصيرا تجاه الحقوق

ومقومات الحياة على أنها الهدف، نتج عنها فقدان الطموح والهمم وقصر النظر وانصرافها، وهذا راجع إلى خلل في مضامين التربية، برزت أجيال مستهترة تجهل أهمية الحياة الجادة، لتحقيق أغراض دنيوية على حساب الدين والقيم، وموضوع " مفهوم الوهن " له أهمية لكونه يوقظ القلوب ليصحح مسار النفوس، ويعالج أسباب أمراضها وانحراف الإرادات، ويستهدف إلى توضيح معنى "الوهن" بتوضيح نظرة الإسلام له، ببيان خطر الوهن على الحياة ويبعث على استشعار المسئولية وتحقيق مبدأ النصيحة امتثالا لقوله تعالى: {والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر} (العصر 1-3) ولقوله عليه الصلوٰة والسلام: (الدين النصيحة) قيل: لمن يا رسول الله ؟ قال: (لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم) [2] ويتحقق هذا بتأصيل البحوث بمصادر التشريع: القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، وينتهج البحث: جمع الآيات التي ورد فيها ذكر "الوهن" وشرحها وما جاء فيها من توجيهات مستشهدا بالسنة النبوية الشريفة، وبأقوال سلفنا رضوان الله عليهم وتطبيقاتهم العملية.

وقد أجمل القرآن الكريم حديثه عن خلق الوهن من عدة جوانب، مبينا آثاره الذميمة، وما ينتج عنه من رذائل وخسائر: منافاته لفضيلة الصبر وزعزعته أركان الثبات على الحق وعلى الأفعال الحسنة، اهتمامه بالدعوة إلى مقاومة الوهن للثبات على الحق أمام متقلبات الحياة، بيانه لما يسبب من إضعاف النفوس عن تحمل ما يصيبها أو يلحقها في ذات الله، مغالبة شهوات النفس الداعية إلى الوهن لئلا تميل بها، مغالبة وساوس الوهن وهواجس النفس حين الفتور.

الفصل الأول: الوهن : أسبابه ومسبباته وعلاجه دراسة في ضوء القرآن الكريم

المبحث الأول: من أسرار ورود كلمة الوهن.

وردت مادة "الوهن" في القرآن الكريم في مواضع مختلفة بدلالات مختلفة، وفي مجمل ورودها دلت على أمور منها:

1- استنهاض الهمم للثبات على المبدأ، قال الله: {وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ} (آل عمران 139) وقال الله: {وَكَأَيِّن مِّن نَّبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (آل عمران 146) وقال تعالى: {ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ} (الأنفال 18).

2- الاعتناء بالحقوق والواجبات الاجتماعية، قال الله: {وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ} (لقمان 14).

3- التسابق للوصول إلى الأهداف بمبدأ التقابل، قال الله: {وَلاَ تَهِنُواْ فِي ابْتِغَاء الْقَوْمِ إِن تَكُونُواْ تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللّهِ مَا لاَ يَرْجُونَ} (النساء 104).

4- استنهاض التفكير لتصويب السلوك، قال الله: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ} (محمد ε 35).

5- الثبات على طاعة الله تعالى بتغير الحال بالضعف والكبر ودلائله الظاهرة والباطنة، قال الله: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً وَلَمْ أَكُن بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيّاً} (مريم 4).

6- بيان أسباب فقدان الثقة بالنفس، قال الله: {مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاء كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتاً وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ} (العنكبوت 41).

المبحث الثاني: تعريف الوهن في القرآن الكريم.

الوهن في اللغة: تدل مادة: (و هـ ن) في أصل اللغة على الضعف، يقال: وهن الشيء يَهِن وَهْنا: ضعف[3] عن الراغب الوهن: ضعف من حيث الخَلْق، أو الخُلُق، قال الله: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي} (مريم 4) {فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ} (آل عمران 146) [4] وقيل الوهن: الضعف في العمل والأمر، والوهن الجهد، قال الله: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ}

(لقمان 14) أي: جهدا على جهد[5] ومن معاني الوهن: الفتور والتقاعس والتردد والاضطراب، وقيل: الاسترخاء والكسل، ويقابل الوهن: العزم والقوة والاندفاع والاجتهاد والطموح والمسارعة والجهد.

فالوهن هو: ضعف في الإرادة لمغالبة الشهوات، وفتور في القوه النفسية تصده عن العمل الجاد، أو هو اتجاه نفسي خامل يرغب عن تلقي التكاليف، منحط القدرة عن تصدي العقبات ومغالبتها، عاجز عن دفع قدرة تدفع الإرادة الخاملة بحسب العادة للأمور التكليفية التي يقوم بها معظم الناس، قال تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى} (النساء 142) يدل عليه قوله ε: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ فقال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن) قال قائل: يا رسول الله وما الوهن ؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت) [6] دل الحديث على أن الوهن موت الهمم، فيرغب الواهن إلى إيثار السلامة، أو يطلب العافية مقتنعا بالتبعية والدون، أو يتهرب ويستنكف عما لا يحمد تركه وفواته شرعا وعرفا كجهاد الأعداء أو رد العدوان أو الوقوف بجانب الحق، أو طلب الكمال من خيري الدارين.

فدل أن الوهن خلق نفسي فاشل، ناشئ عن جملة من الأخلاق الرديئة حسية ومعنوية، فهي تتقاذفه وتتنازعه بحسب المواقف التي يمر بها الإنسان، فتارة ينشأ عن الجبن والخوف والمسكنة، وتارة عن الذل والهوان، وتارة بفقدان الثقة بالنفس، وتارة بإيثار السلامة من الغوائل وغيره، فهو أصل لكثير من الرذائل، وفرع عن غيره من الخسائس.

المبحث الثالث: بعض الألفاظ قريبة الدلالة من الوهن.

من بليغ أسلوب القرآن ذكرت آيات تضمنت أكثر من كلمة يبدو ظاهرها مترادفة المعاني، في الحقيقة تنطوي على معان عديدة وأسرارا بليغة، اختلافا في المعنى والدلالة من ذلك:

الاستكانة: الخضوع والذلّ والتضرع والسكون: {فَمَا اسْتَكَانُوا لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ} (المؤمنون 76) [7]

التخاذل: ضد التناصر، وهو ترك من يُظَنّ به النصرة والعون: {إِن يَنصُرْكُمُ اللّهُ فَلاَ غَالِبَ لَكُمْ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا الَّذِي يَنصُرُكُم مِّن بَعْدِهِ} (آل عمران 160) [8].

الجبن: ضد الشجاعة، وهو ضعف القلب عما يحق أن يقوى عليه، وهو من الرّجالِ: الذي يَهاب التقدُّم على كلِّ شيء ليْلاً كان أَو نهاراً [9].

الخمول: الخامِل الخَفِيُّ الساقط الذي لا نَبَاهة له، يقال: هو خامل الذِّكْرِ والصوتِ، لا يُعْرَف ولا يُذْكَر؛ ومن القول: الخَفِيض، والخَمِيلة: المُنْهَبَط الغامض من الرَّمْل [10].

الضعف: بالفتح خلاف القوة ويكون في النفس وفي البدن وفي الحال، عن الخليل: الضُعف بالضم يكون في البدن، وبالفتح يكون في العقل والرأي: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً} (الروم 54)[11].

العجز: ضد القدرة، وهو التأخر والقصور عن فعل الشيء: {قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي} (المائدة 31) [12].

الفتور: سكون بعد حدة، ولين بعد شدة، وضعف بعد قوة: {يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} (الأنبياء 20) أي: لا يسكنون عن نشاطهم في العبادة [13].

الكسل: التثاقل عما لا ينبغي التثاقل عنه، فهو بذلك صار مذموما: {وَلاَ يَأْتُونَ الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى} (التوبة 54) [14].

فتحصل الفرق بين الوهن وبين مرادفاته بأن: الضُعف- بالضم- يكون في البدن خاصة، -وبالفتح- يكون في البدن والرأي والعقل، يقال: في رأيه ضعف ولا يقال فيه ضعف، كما يقال في جسمه ضعف، وهو من فعل الله تعالى يقال: خلقه الله ضعيفا أو خلقه قويا [15] أما الوهن ففتور في القوه النفسية وضعف في الإرادة والهمة، أو إذا أخذ فيه أخذ الضعيف، كأن يفعل الإنسان فعل الضعيف كالوهين يستحث على العمل، ويكون معنى قوله تعالى:

{وَلاَ تَهِنُوا وَلاَ تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ} (آل عمران 139) أي: لا تفعلوا أفعال الضعفاء وأنتم أقوياء على ما تطلبونه بتذليل الله إياه لكم، ولا يقال: خلقه الله واهنا كما يقال: خلقه الله ضعيفا [16] وقد يستعمل الضعف مكان الوهن مجازا في مثل قوله تعالى: {وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ} (آل عمران 146) أي: لم يفعلوا فعل الضعيف، ويجوز أن يقال: إن الوهن هو انكسار الحد والخوف ونحوه، والضعف: نقصان القوة [17].

أما الاستكانة: فإظهار الضعف والخضوع والاستسلام، ويكون معنى قول الله: {وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ} (آل عمران 146) إشارة إلى نفي الحالتين عنهم في الجهاد، أي: ما فتروا وما جبنوا عن قتال عدوهم، ولم يضعفوا بنقص القوة ولا استكانوا بإظهار الضعف عند المقاومة [18].

أما العجز: فضده القدرة وهو التأخر عن الشيء، ومنه سمي العجوز لعجزه عن تعاطي كثير من الأمور، وسمي ناقص الخلق عاجزا لعدم قدرته على تحقيق كثير من مصالحه [19].

فدل أن الوهن: ضعف القلب ينتج عنه اختلال قوة الجسم والحسّ، والاستكانة إظهار العجز، والعجز تراجع نفسي أو جسدي، والضعف واجتماع الألفاظ في الآيات إنما جاء لإفادة الاستقصاء في بيان الصفة التي يجب أن يكون عليها المسلم من قوة وعزيمة مضاءة لا تفتر الهمم، ومن قوة العقل فلا تخور القوى بفقدان الحيل والتحايل، ومن قوة الثبات فلا يستسلم، ومن قوة المضي قدما دون مهابة أو انثناء لنيل العز ولتحقيق مطالب الدارين.

الفصل الثاني: أسباب الوهن.

السبب: كل شيء يتوصل به إلى غيره، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا، فَأَتْبَعَ سَبَبًا﴾ (الكهف 84- 85) آتاه الله من كل شيء معرفة وذريعة يتوصل بها، سواء أكان هذا الشيء مادياً كآلة مادية، أو كان معنوياً كالعلم والقدرة [20] دلت الآية على أن الله خلق الدنيا وما فيها بحكمته بنظام دقيق، فخلق الأسباب وأوجد بها مسبباتها بتقدير أزلي، مع أن الله قادر على إيجاد ما يريده ابتداء من غير هذه الوسائط،

وتتجلى علاقة الأسباب بالمسببات في كتاب الله في نظام الدنيا من حيث قيام مصالح الدارين عليها بارتباط المكوَّنات فيما بينها، حيث جعل الله تعالى التقاء السببين لإيجاد المسبب لتحقيق مصالح الدارين بسببها: ﴿صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾ (النمل: 88) وهذا لا ينافي قدرته عليها بواسطة خلق هذه القوى المؤثرة والقابلة في الأجسام، وإنما أجرى الله العادة على اعتبارها جزءا من التكاليف ليصل الإنسان من خلالها إلى حقائق وأهداف بالغة الأهمية يتحتم عليه تحقيقها، إضافة إلى أنه أمر تعبدي كلما كرر النظر والاستبصار يثاب عليه: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا﴾ (آل عمران 191) وقد حرص القرآن الكريم على تشويق الإنسان على الأخذ بالأسباب لتتحقق له مسبباتها مع تجلية مفهومها، فوضع المرغبات لمباشرتها: {هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولاً فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ} (الملك 15) {وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَاهُم مَّاء غَدَقاً} (الجن 16) {إِن تَتَّقُواْ اللّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَاناً} (الأنفال 29) ليلاحظ الإنسان دقة نظام الأسباب والمسببات، ثم يلاحظ أنه المعني بقوله تعالى دون سائر المخلوقات: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ} (الأحزاب 72) وبسبب التكليف ينال الإنسان مسبباتها كالعز والتمكين في الأرض، أو تنهال عليه أسباب الذُّل والخزي، وقد لا تتحقق له مسبباتها وقد يأتي النتائج عكس ما يتسبب لها، ليتبين له أن من وراء حديث القرآن الكريم عن الأسباب والمسببات أهداف حكيمة وغايات نبيلة: {وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُوْلُواْ الأَلْبَابِ} (البقرة 269).

المبحث الأول: دوافع الوهن.

الوهن خُلق إنساني مِن خَلْق الله، وهو مرض ينتاب بأسباب فردا أو جماعة، غير أن الأمم المادية لكونها مادية فحسب فلا يتجاوز إصابتها سوى حدود دائرتها بأضرار مادية، أما أمة الإسلام فلكونها أمة المبدأ والقيادة فقد يتسبب الوهن بإصابتها بالضعف في مناحي الحياة، بل يشمل العالم كله، وحين يستعرض الحصيف توجيهات القرآن الكريم وتوجيهات السنة يجد أن من أبرز مسببات الوهن تقهقر ازدهار حياة الأمة الإسلامية

بتأثر ركائز حضارة الإسلام، ولعل مرد ذلك ما يسببه الوهن من: اختلال في إدراك مفاهيم الحياة، إخفاق في تقييم التصورات، انتكاس في ترسيم الأهداف والخطط، ومصداق هذا قوله ε في عبارة موجزة: (حب الدنيا وكراهية الموت) [21] إشارة إلى اختلال في إدراك مفاهيم الحياة، يوضح هذا قول الله: {وَمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ لَهْوٌ وَلَعِبٌ وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ} (العنكبوت 64) أو إخفاق في تقييم التصورات، وإلى هذا يشير قوله: (ولكنكم غثاء كغثاء السيل) 21 يوضح هذا قوله الله: {أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا، وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُ، كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً، وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ} (الرعد 17) أو انتكاس في ترسيم الأهداف والخطط، وإلى هذا يشير قوله: (يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت) [22] يوضح هذا قوله الله: {لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً} (الملك 2) وكان من أسباب هذه الانتكاسة حين لم يقض عليها في مغارسها ظهور أمراض اجتماعية، حتى غدت وباء تفشت واستحكمت من بعض النفوس المعرضة للإصابات منها:

1- النفاق والمنافقون: النفاق كما قال الراغب: هو الدخول في الشرع من باب والخروج عنه من باب [23] كالمكر والخوف والجبن والهلع، والمراوغة والخداع والتمويه، والجهالة والحمق والغباء والغيظ والحقد والعناد: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُواْ إِلَى الصَّلاَةِ قَامُواْ كُسَالَى يُرَآؤُونَ النَّاسَ وَلاَ يَذْكُرُونَ اللّهَ إِلاَّ قَلِيلاً، مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لاَ إِلَى هَـؤُلاء وَلاَ إِلَى هَـؤُلاء} (النساء 142، 143) والخروج عنه من باب المؤامرات والعصبية والمكابرة والدسائس والإرجاف والتثبيط والوهن والعراقيل: {لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ، لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ} (التوبة 47- 49) يوضح القرآن الكريم صورة نوع من أفراد المجتمع سقطوا منغمسين في مرض الوهن بسبب الانتكاسة التي أصابتهم، فتقمصوا النفاق ليبقوا على

أنفسهم، ونظروا إلى الفاني على أنه الباقي، لذلك لفت الله أنظار عباده في سورة المنافقين عقب ذكر بَلادَةِ المنافقين: {ياأيها الذين ءامَنُواْ لاَ تُلْهِكُمْ أموالكم وَلاَ أولادكم عَن ذِكْرِ الله} (المنافقون 9) لكونهم لم يفقهوا مفهوم: {لاَ تُلْهِكُمْ} فآثروا حياة الوهن والخوف والذل على حياة العز والقوة بدعوى الذكاء والدهاء: {لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ} (التوبة 57) من حيث لا يعلمون أن خصلة النفاق في قلوبهم قتلت الهمة، وآفة في طبيعتهم ذوبت الحزم، ومرض في نفوسهم دفن الإرادة، وكلها خصال تتنافى مع عوامل القوة والإرادة: {وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أولو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ، رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ} (التوبة:86، 87) وكان من آثار ذلك الطبع عدم إدراك غاية الوجود، وعدم الإيقان باليوم الموعود.

2-انعدام الإيقان أو ضعفه بيوم الدين: حين يصاب الإنسان بالوهن يعدم الإرادة والطموح، فيضل بانطلاقه وراء أهواء النفس الجامحة عن سر خلقه وينحرف مسار حياته طلبا للدنيا دون رقيب أو وازع، متنقلا إلى مسارح الشهوات والتسابق في الانغماس في لذائذ الدنيا على أنها هي المتبقى له، فيختل موازين الحياة ويستحوذ الشر على النفوس، ويبقى الأمر والنهي منقادا لهوى النفس والمصالح الشخصية، ولا أدل على ذلك من الأمم المادية التي عدمت البصيرة وفقدت الإرادة وآمنت بالمادة مبدأ ونهاية، وغفلت عن سر وجودها، فهدمت جانبا مهما في حياتها ألا وهو النظر فيما بعد الموت، وانعكست آثارها على العالم بأضرار، ومِن ثَمّ عمد القرآن الكريم في تربيته للنفوس إلى التذكير بيوم الجزاء، حتى إنه ليقرن ذلك بالأحكام التشريعية، فيلمح إلى ضرورة انتباه المكلَّف في مباشرته للمعاملات الدُّنيويَّة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ (الطلاق: 2) ترغيبا في التسابق والتطلع إلى ما هو أعز وأكرم، لذا من أوائل ما حرص عليه القرآن الكريم في تربيته هو إقامة موازين العدل لتتعمق جذور مبدأ البعث بعد الموت والجزاء على الأعمال، لأن به يتصور العبد

الجزاء على الأعمال، فيندفع إلى كسبها وهو خير معيار لترغيبه في التسابق فيها رغبة في الجزاء عليها: {وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئاً وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَى بِنَا حَاسِبِينَ} (الأنبياء:47) وقالﷺ: (يصاح برجل من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة، فينشر له تسع وتسعون سجلا، كل سجل مد البصر، ثم يقال له: أتنكر من هذا شيئا، فيقول لا يا رب، فيقول: ألك عذر أو حسنة فيها فيقول الرجل: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات وأنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها "أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله" فيقول: يا رب ما هذه البطاقة مع هذه السجلات ؟، فيقول: إنك لا تظلم، قال فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة) [24] لتربيتهم على بُعد النظر وتعميق البصيرة في مطالبهم، لتتنامى فيهم الهمم وتقوى الإرادة، وصولا إلى عالم أفضل وحياة أكرم وإنسانية أكمل، وهذه العناية القرآنية والتربية النبوية بمثل هذا التصور أمر يحرك في النفوس أسمى طرائق الخير والتسابق فيه، ويحول بينها وبين أسباب الوهن والصوارف، ويملؤها بالفضائل ويحجبها عن الرذائل، فتستقيم الأمور ويسود التنافس في مختلف المجالات.

3-قصر النظر: إذا انصب جهد الإنسان منحصرا في مطالب تلبية شهواته وأهمل النظر في عواقبها، وضعف عن طلب المعالي، أو غفل عن يوم غده، وعمل للدنيا عمل المقيم فيها غارقا غافلا مع ما اشتملت عليه مما يدل على حقارتها، واطمئن طمأنينة من لا يزعج عنها مع ما يشاهد مسرعة زوالها، دل ذلك على وهنه وغفلته وقصر بصيرته وضعف عزيمته وفتور إرادته، يعقبه طغيان وضياع وإهمال: {يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى، يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي} (الفجر:23- 24) وقاصر النظر بالمستلذات سرعان ما ينخدع بالزخارف، وإنما فُضّل العقل بتأمل العواقب، وناقص العقل يرى الحال الحاضرة دون النظر إلى عاقبتها: {إِنَّ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُواْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّواْ بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ} (يونس:8) كالوهين الكسول يرى لذة الراحة وينسى فوات المصالح، ثم يفوت ثواب الآخرة بترك العمل في الدنيا،

والعاقل من يقيس وينتبه للعواقب من خلال تعاليم دينه ومنهجه، ويوزن فيختار الأرجح ولا يؤثر لذة تفوت عليه خيرا كثيرا، وصابر المشقة تحصل ربحا وافرا، عن ربيعة τ قال: كنت أبيت عند النبي ﷺ فأتيته بوضوئه وحاجته فقال لي: (سل) فقلت: يا رسول الله أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: (أو غير ذلك) قلت: هو ذاك قال: (فأعني على نفسك بكثرة السجود) [25] وأتت امرأة سوداء إلى النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله إني أصرع وإني أتكشف فادع الله لي، قال: (إن شئت صبرت ولك الجنة، وإن شئت دعوت الله أن يعافيك) فقالت: أصبر فقالت: إني أتكشف فادع الله أن لا أتكشف، فدعا لها [26].

4- التـــــرف: هو التوسع في النعمة، قال الله: {وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ وَكَانُوا مُجْرِمِينَ} (هود:116) [27] حياة الرفاهية موهنة مرقق للهمم، والاستغراق والتوسع في الملذات والشهوات من نتائج قصر النظر، ينتج ذوبان القوة وقتل الإرادة، طمس البصائر وتبلد الإحساس وتغرس الأنانية، يصحبها عموما بطر وأشر واستهتار بالقيم والعواقب، تقلب المفاهيم على أنها المدنية وسمة الكمال والرجولة والمطلب المأمول والهدف المنشود، ومن ثم الكفاح والنضال من أجلها، وصرف الهمم مادياً ومعنوياً في توفيرها، وقد يتفاقم بمحاربة الفضائل وملاحقة المصلحين: {وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلا يُصْلِحُونَ، قَالُوا تَقَاسَمُوا بِاللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُ وَأَهْلَهُ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ} (النمل:48، 49) و توالى النعم تنسّي الحكم الإلهية: {وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ} (سبأ:34).

وامتد هذا التصور الزائف إلى الشباب، فقتل همهم وحطم طموحاتهم حتى ذابت فيهم الحمية الدينية، فظنوا أن الغاية من الحياة هو استغلالها بالشهوات، همهم العبث واقتناء الموضات والأزياء، ومجالس القيل والقال وتقاعسوا عن طلب حياة الجد، يقول محذرا في وصيته لمعاذ τ: (إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بالمتنعمين) [28] وذكر التنعم عنده

فقال: (ألا تسمعون ألا تسمعون، إن البذاذة من الإيمان إن البذاذة من الإيمان) يعني التقحل رثاثة الهيئة [29].

5- التنازع والاختلاف: المجاذبة والمجادلة ويعبر بها عن المخاصمة والاختلاف بإتباع الهوى، تباين الأفكار والآراء حول أمر لا يحتمل ذلك، قال تعالى: {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} (الأنفال 46) وإنما كان التنازع مصدر الضعف وبث الوهن لكونه يشتت الأفكار والأبدان، ويبدد القوى ويدمر التضامن بنقضه عرى التعاون، إما بدافع الاستبداد والأنانية، أو تمسكا وتعصبا للرأي، أو لأجل تباين وجهات النظر بدافع مصلحة ذاتية، ولا يجد الوهن سبيلا إلا حين التنازع وتتعدد الآراء والأفكار بدافع الهوى حول قضية ذات وجهة واحدة، أو حين يكون الهوى المطاع يوجه الآراء والأفكار بإصرار صاحبه عليها مهما تبين له وجه الحق، لذا عقب الله بعد النهي عن التنازع والاختلاف بذكر ما ينتج عنه من الضياع فقال: {فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} الفشل: ضعف مع جبن، يقال: تفشل الماء: سال[30] أما التربية على الاتحاد والتضامن وعلى رأس ذلك كله: ما كان منبثقا من طاعة الله وطاعة رسولﷺ فهو السبيل لكي يباشر المجتمع حياته بروح الجد والعزيمة الصادقة في جميع شئونه; ويجب أن تكون هذه الطاعة طاعة قلبية عميقة، لا مجرد طاعة تنظيمية ظاهرية وهمية.

6- إخفاق في التربية: بعدم ترويض النشىء على احترام المباديء والقيم، أو بعدم اعتبارها من محاسن الأعمال ومكملاتها، أو بعدم إعطاء الحقوق الاعتبارية أهمية على اعتبار عدم جدواها، قال ﷺوهو يغرس أهمية ضبط النفس تجاه الحقوق الاعتبارية: (يا غلام سمي الله وكل بيمينك وكل مما يليك) [31] وحينما يحظى النشأ بمثل هذه الرعاية والاهتمام، لا شك في أنه يبقى مأمون الزلل، منضبطا في حياته من أدنى اعتبار وأصغره، أما حينما يبقى المرء طليقا لتقلباته معدوم العناية الواقية، فيطول للتشرب من ثقافات مختلفة فيها الغث والسقيم، والمستورد الزيف، ومهما ادعت النفوس سمو الفكر فإنها بدون توجيه وجيه تنفتح أمام مشارب عكرة ومسارب مضلة، فتنقاد باستحواذ الخلط

واللبس لهوى النفس والمئارب الشخصية، وقد تتوهم بسبب إخفاق في تحقيق مرغوب أو دفع مرهوب، أو بسبب فشل ذريع بعد محاولات متكررة أو بهزائم متتالية، فشلا في جميع جوانب الحياة، وحينئذ تميل بطبيعة خلقتها إلى إيثار الأهواء النفسية، وتحقيق الرغبات كيفما أمكنه وطالت اليده، كما قال تعالى عن الوهينين: {رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لا يَفْقَهُونَ} (التوبة 87) ثم يقعد عن مغالبة الصعاب وتذليل العقبات، رغبة في تحقيق ما يمكنه التوصل إليه [32].

7- اليـــأس: هو القنوط وانتفاء الثقة والطمع وانقطاع الرجاء والأمل، وحينما تصاب النفس بالوهن من خلال نظرتها إلى الحياة كنزول نازلة من فقر أو مرض أو مما يكدر صفو العيش يتسرب اليأس إليها فيميت شعورها ويحطم آمالها وتطلعاتها، وقد تتصور طول البلوى وملاحقة المحن والشدائد، وهذا من أقبح ما تُبتلى به النفس يُصفِد أبواب الرحمة: {إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ- رحمته ورجاء فرجه- إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (يوسف 87) فلا يكاد يتجه الوهين إلى تحريك ساكن أو تناول حتى قريب المنال ظانا نهاية حياته، لكونه يعايش أحلاما وآمالا وأوهاما، ويزداد بذلك ضعفا ووهنا ومسكنة، حتى يُقعِده ذلك عن الاهتمام بنفسه أو بشئون منـزله حتى يصل إلى إساءة الظن بالله تعالى، قال عتبة بن غزوان في بعض خطبه، وهو يقارن بين ماض كان يعاني فيه من قسوة العيش، وحاضر أبدله الله فيه بالنعمة: "لقد رأيتني سابع سبعة مع رسول الله ﷺ مالنا طعام إلا ورق الشجر، حتى قرحت أشداقنا، والتقطت بردة فشققتها بيني وبين سعد بن مالك فاتزرت بنصفها واتزر سعد بالنصف الآخر، فما أصبح اليوم منا أحد إلا وكان أميرا على مصر من الأمصار" [33].

المبحث الثاني: مغريات الحياة وتطلعاتها.

توالي المحن على النفس توهنها، وتتابع النكبات والنكايات عليها يقعدها، ومسيرة الحياة السعيدة مرهون بتذليل العقبات أو بتخطيها، وليس هو آخر المطاف حتى يرتاح الإنسان من العناء، فلا الوهن يجدي أو يخلصها، أو الاستكانة تريح من متاعبها، وتبقى

العوارض والتقلبات المتباينة بتفاوت تأثيرها مستمرة، والناس في تلقي تقلبات الأحوال درجات متفاوتون، فمن الناس من يكون وهينا مهينا في طبعه وإرادته متأثرا بأدنى مغريات الحياة، فلا يكاد يرغب النهوض مهما قدمت له شواهد من نجاحات وبطولات، أو عاين انجازات وابتكارات، ومنهم لضعفه أصلا أو لمجابهته صعوبات الحياة المعيقة المتكررة قد تهن نفسه وتضعف روحه فيستثقل بعض أعباء الحياة، ربما حفاظا على بعض المصالح أو يركن إلى الدعة ليستريح من المشقات، غير أن الذي يجب الاهتمام له هو مقاومة مغريات الحياة بتهذيب تطلعات النفوس، أخذا بمبدأ: "الوقاية خير من العلاج" فقد يستشري إن أهمل علاجه في حينه فينقلب متمكنا مرضا وبائيا موهنا للعزائم قاتلا للإرادات، مثبطا عن الطموح والتطلع إلى المعالي، يكشف الرسول ﷺ عما تسببه مغريات الحياة من توهين النفوس وقتل الإرادات، بقوله: (يوشك أن تداعى عليكم الأمم كما تداعى الأكلة إلى قصعتها) فقال قائل: ومن قلة نحن يومئذ يا رسول الله ؟ فقال: (بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غثاء كغثاء السيل، ولينزعن الله من صدور عدوكم المهابة منكم، وليقذفن في قلوبكم الوهن) قال قائل: يا رسول الله ﷺوما الوهن ؟ قال: (حب الدنيا وكراهية الموت) [34] حب الدنيا يعني: التشبث بها بتمني طول الأمل وقلة العمل، وكراهية الموت يعني: الاستكانة والخضوع والخور بالابتعاد عن الغوائل التي يتصور فيها الهلاك، فإذا أصيبت بمثله أمة قضى على وجودها وحطم دعائمها، يعقبها سقوط الهيبة وفقدان العزة والإفلاس المادي والمعنوي حتى تصبح لقمة للطامعين تستجيب راكعة للأعداء ليجتمعوا باقتسامها بالقضاء عليها.

ومن آثار كراهية الموت بذل الإنسان قصارى جهده منقادا وراء الغرائز في إعداد المستلذات لإشباع الشهوات ما استطاع إلى ذلك سبيلا، حتى لو تسبب ذلك في هلاك ذاته بيده، دون أن يقدم لما بعد الموت، ويشرح القرآن الكريم هذا المرض بشقيه مبينا أثره وخطره وعاقبته: {أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ، حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ، كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ، لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ، ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ} (التكاثر 1- 8) وهذا من دلائل انعدام الفكر والفهم، وحين غفل

المسلمون عن مضمون هذا الحديث، تكالب عليهم الاستعماريون مع كثرة عدد المسلمين ووفرة عُدتهم، فاستولوا على هويتهم ومقدساتهم ومقدراتهم، وصدق عليهم وصف النبي ﷺ: (غثاء كغثاء السيل) لذلك حرص القرآن الكريم في آيات كثيرة على كشف هذه الحقيقة للمسلم وليصوب فكره وفهمه، قال تعالى: {اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرّاً ثُمَّ يَكُونُ حُطَاماً وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} (الحديد 20) وقال تعالى: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ} (آل عمران 14) ويبين القرآن الكريم حقيقة الحياة ويحذر من فتنتها، فيقول تعالى: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ} (فاطر 5).

المبحث الثالث: الوهن ومباهج الدنيا.

يقرر القرآن الكريم ألوانا من زينة الحياة الدنيا: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ} (آل عمران 14) والتعبير بـ{زُيِّنَ} يدل على أن الإنسان مغلوب عليها، فقيل أن المزين هو الله تعالى: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا} (الكهف 7) ثم دعا الناس إلى كيفية التعامل معها حسب ما قرره الشرع وقدره: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ ، وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا، وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ ، وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ، إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ} (القصص 77) لا الوقوف عندها أو الاقتصار عليها، لكون الالتفاف حولها مدعاة للوهن ومجلبة للجبن والخضوع والذل للشهوات: {الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَاباً وَخَيْرٌ أَمَلاً} (الكهف 46) فمن زينتها الملاهي الصوارف عن الحياة الجادة، وغالبا تفتر النفس وتضعف أمامها وتدعو إلى الدعة واللين، والانصراف إليها تسكن عن النشاط لا سيما في العبادة: {وَلاَ يَأْتُونَ

الصَّلاَةَ إِلاَّ وَهُمْ كُسَالَى} (التوبة 54) وتجبن القلب عما يحق أن يقوى عليه، فيهاب الإنسان التقدم على أشياء كثيرة أو يقصر ويتأخر عنها، ويكسل ويثقل عما لا ينبغي التثاقل عنه، ولأجل ذلك صار كل صارف عن النظر في الآخرة مذموما، وينقلب المرء خامِلا خفِيّا ساقطا لا نَبَاهة له، لا يَعرِف ولا يُعْرَف، لا يَذكُر ولا يُذْكَر، خفِيضا منهبطا غامضا، يتخاذل حين التناصر من يظن به النصرة والعون، وهذا ضد الحياة الحقيقية والسعادة الحقة التي أمر الإنسان بطلبها، لذلك يعطف النبيﷺببيان خطر مفاتن الدنيا ومغرياتها الموهنة للنفوس، فيقول: (إن الدنيا حلوة خضرة، وإن الله تعالى مستخلفكم فيها، فينظر كيف تعملون، فاتقوا الدنيا، واتقوا النساء) [35] ويبين رسول الله ﷺقيمة الدنيا وهوانها عند الله تعالى حين قصدت لذاتها، فيقول: (لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة ما سقى كافرا منها شربة ماء) [36] ويحذر من الانشغال بمالها وخيراتها والتنافس فيها، خشية أن تُخرج قاصدها عن المسار الصحيح، قائلا: (فوالله ما الفقر أخشى عليكم، ولكني أخشى أن تبسط الدنيا عليكم، كما بسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، فتهلككم كما أهلكتهم) [37] ثم بعد هذا البيان الشافي من معلم البشرية يصبح العبد مهينا ذليلا عبدا للدنيا وزينتها فليس له سوى ما رام، وقد حذر من هذا قائلا: (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد القطيفة والخميصة إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط- لم يرض- تعس وانتكس وإذا شيك فلا انتقش) [38].

وفي مقابل ذلك يوجه أمته إلى التباصر في طلب ما يستحق طلبه كما طلب هو من الله: (اللهم لا عيش إلا عيش الآخرة) [39] ليقيهم ذلك من الانغماس فيها، وهذا لا يعني التخلي عن الدنيا وترك ما فيها، واعتبارها مستقذرة كما يتصوره بعض أتباع الديانات المحرفة، بل الدنيا عون على حصول الآخرة، وميراث يرثه المؤمن لبلوغ مقاصد الدنيا والآخرة، في الحديث: (الزهادة في الدنيا ليست بتحريم الحلال، ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة في الدنيا ألا تكون بما في يديك أوثق مما في يد الله، وأن تكون في ثواب المصيبة إذا أنت أصبت بها أرغب فيها لو أنها أبقيت لك) [40] ومن حصافة العقل وسداد الرأي انتقاء الإنسان أفيد ما يزرعه، واصطفاؤه أثمن ما ينبغي أن يرثه، لذا كان انتشار الحرص

والانكباب على جمع المال وكسبه دون تمييز من آثار تخلف العقل والفهم، يتبعه التقاتل والشح والبخل، والجشع والطمع، والتحايل في التعامل، قال: (اتقوا الشح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم) [41] يعقب ذلك التخاذل والجبن والوهن والخوف على النفس والنفيس، والاضطراب والقلق الشديد من المستقبل.

المبحث الرابع: الوهن وتوقعات المستقبل.

المستقبل: ما يتعلق بالمحتمل أو بالممكن أو بالمفضل من الزمان، مع احتمالات ذات تأثيرات ممكنة أو متوقعة حدوثها، وليس المستقبل بالأحلام والأماني، إنما يتحقق ذلك بكسب المعارف بالنظر إلى الزمن القادم بتحليل أحوال محتملة الوقوع ببصر متعاقب وببصيرة ثاقبة، بغية تصور الواقع المقبل للتوجه نحو السبيل الأقوم والصراط المستقيم، بنظرة مسبوقة في الماضي لتغيير الحاضر للأفضل، والحاضر بمعالجة المعوقات لإزالتها من المستقبل، وهذا الاهتمام بالمستقبل فطرة وميزة إنسانية، غير أنه حسب العصور والمجتمعات يتفاوت النظر تجاهه، وفي العصر الحاضر ازداد الاهتمام به بسبب التغير السريع، انفجار المعارف، تطور العوائق، تقارب الزمان والمكان، تشابه الحضارات، وليس النظر للمستقبل لأجل ما يكمن فيه من مغيبات لتغييرها، إنما لقصد اتخاذ التدابير الواجبة لحين الوصول إليها، فإن المستقبل في نظر بعض البشر مصدر قلق وهمّ، لكونه يحمل في طياته مغيبات إما إلى الأفضل أو إلى الأسفل، ومن أشكاله: القلق على الرزق وعلى مستقبل الأبناء أو على الوظيفة أو على الصحة، وهذا أمر في ذاته إذا بقي حد الوساوس وهواجس نفسية فطبيعي، لكن يكمن الخطر فيما إذا تجاوز حدوده إلى الفشل فيما يقتضي الإنجاز، والتأخر فيما يجب التقدم فيه، ومنشأ هذا القلق إما لضعف التوكل على الله تعالى بسبب ضعف الإيمان، بحيث يتصور الإنسان باضطراب الأوضاع تخلي مالك الكون ومدبره عنه، أو الاستسلام لهمزات الشيطان ووساوسه، أو التأثر بسب ضعف العلم بما يبثه بعض الجهلة بتصويرهم أمر الرزق من أعقد المشكلات في وسائل الإعلام، لاعتمادهم على أنفسهم وعلى الأسباب على أن لها تأثير مباشر دون اللجوء لمسبّب الأسباب، فلم يعتمدوا على الله ولم يسألوه أو يرجوه: {إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِن

رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ} (يوسف 87) وهذا سمع مقالة جاهل فتعلق بها فداخله خوف وغفل عن حكمة الله تعالى: {وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ} (البقرة 155) وهذا مناف للإيمان بقضاء الله وبقدره، قال: (إنَّ الروحَ الأمينَ نفث في روعي أنَّهُ لن تموت نفسٌ حتى تستكملَ رزقها وأجلها ألا فاتقوا الله وأجْمِلُوا في الطلبِ) [42].

يكشف رسول اللهﷺ هذه الحقيقة- لئلا يُستأسر مسيطرا فيصعب حين توديعه ومفارقته- بأن المستقبل بيد خالق الحياة ومدبّر الكون وتقلباته، وأن الدنيا ليست بدار خلد وأن متاعها زائل، ومثلها لا تستحق القلق أو الأسى على فقدانها ولا يطمئن إليها إلا من لا يحسن تقدير الحقائق، ويوجه إلى كيفية استقبال المستقبل حتى يستعد العاقل له مهيئا له الأسباب المحمودة، كجعله وسيلة تربوية بحيث يكون في يد المؤمن العاقل لنفع العباد والبلاد، ليبقى ذكرا وذخرا له وعملا نافعا، وأجرا دائما بعد وفاته، مبينا حظ الإنسان من مستقبله: (يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما تصدقت فأمضيت، أو أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت) [43] ولا أن يحشوه في قلبه يحرص على اكتنازه يشح ويبخل به: {مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ} (النحل96) فمتطلباته وانتفاعه منه محدود محصور، وحصيلته مقررة والزائد منتقل، دون أن يغفل عن هذه الحقيقة الملازمة للبشرية، قال: (الكيس- في رواية العاقل- من دان نفسه- حاسبها وأذلها واستعبدها وقهرها حتى صارت مطيعة منقادة- وعمل لما بعد الموت، والعاجز من أتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأماني) [44] بل يدفع عن نفسه العجز والكسل ويعمل ويكدح قال: (المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن "لو" تفتح عمل الشيطان) [45] ولا يتشبث مضيعا حياته بذيول المستقبل، وإلى هذا يشير قوله تعالى: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبهمْ وَجِلَة أَنَّهُمْ إِلَى رَبّهمْ رَاجِعُونَ أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَات وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ} (المؤمنون 60، 61) ليستعد للقاء ربه باغتنام حاضر فرص حياته جادا مجتهدا دون التطلع إلى مخبوء، يومئذ لن يكون ما

يبذله المؤمن من عرض حياة الدنيا ضائعا ولا مقطوعا ولا يحزنه المستقبل، قال: (اغتنم خمسا قبل خمس: حياتك قبل موتك، وصحتك قبل سقمك، وفراغك قبل شغلك، وشبابك قبل هرمك، وغناك قبل فقرك) [46] ولا أدل على ذلك من صحابة رسول اللهﷺ فإنهم لما أدركوا حقيقة المستقبل من خلال فهمهم الصحيح للإسلام اطمأنت نفوسهم فصارت حياتهم أغلى وأعلى وعاشوا سعداء حتى في ميادين الموت: {إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ} (الأنفال 11).

وإن مما يبهر العقل ويدعو إلى العجب كيف أن القرآن الكريم عالج مرض الوهن وتوقعات المستقبل ورواسبه وتأثيره في النفوس واستنهض الهمم وأيقظ الشعور الخامل، وهذا مدعاة لتحري خطوات القرآن الكريم في تربية النفوس وعلاج البشرية من أمراضها: {فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} (محمد 35) ليست الآية مجرد تذكير أو ثناء أو كلمة شكر وتقدير، بل توحي بربط الصلة بالعلي الأعلى: {وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ} منهجا وهدفا وغاية، شعورا وخلقا وسلوكا، قوة وتمكينا ونصرة، فلستم موكلين إلى أنفسكم حتى يزعجكم المستقبل بل: {وَاللَّهُ مَعَكُمْ} بعنايته فلا يجد الخذلان طريقا إليكم، وكل ما تبذلونه حاضرا أو مستقبلا محسوب لكم: {وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ} تهوين من شأن قلق المستقبل الذي قد يواجهه عكس ما يتوقع، فعلام الوهن والضعف والدعوة إلى السلم خوفا من غوائل مستقبلية، بهذا التوجيه والتربية القرآنية يكون الإنسان سويا قويا، يضمن لنفسه ولإخوانه العزة والكرامة، ويغرس في نفسه المناعة والوقاية من الوهن، ولم يعد الموهنون في حاجة إلى حوافز قوية لدفع أوهام المستقبل واستنهاض الهمم وتجديد القوة والنشاط بالحديث عمن يُقْدِم بنفسه وبنفيسه، ولا ببيان حكمة الابتلاء بالمكرهات وتبعاتها كما في هذه الآية.

الفصل الثالث: مسببات الوهن وآثارها.

المسببات هي: نتائج الأسباب التي سبقتها بقوانينها وبمقدماتها في إيجاد الأشياء كنتائج مترتبة في قوانين الله فيما أودعه في الأشياء، وهذا القانون عام شامل بمقتضى حكمة الله في ربط المسببات بأسبابها لكل ما في العالم ولكل ما يحصل للإنسان في الدارين، وتفقه

قانون عالم المسببات يفتح للإنسان آفاقا اعتبارية يدعو إلى التأمل والاتعاظ لتغيير الحال، ومن الضروري للمسلمين أن يتفهموا سنن الله في قانون الأسباب والمسببات، لكونه من لوازم الإيمان ومن فهم أسرار الإسلام، فسقوط دولة أو أمة أو قيامها أو تقدمها أو تأخرها أو سعادتها وشقاؤها نتيجة أسباب معينة أدت إلى هذا التحول، هذا الخضوع من الأفراد والأمم لهذا القانون يساوي خضوع الأحداث الكونية المادية لهذا القانون، وهذا يقودهم إلى الحذر من أسباب الهلكة أو ليتخلصوا منها إذا وقعوا فيها، ويجب على الإنسان أن يكون فعالا ثاقبا في فهمه، مستفيدا من هذا القانون الإلهي بكيفية معالجة أدواء الأمة باختيار الأنسب والأنفع من المحاولات، وهذا يتطلب تدقيق الانتباه مع تحسين البصيرة في تفقد الحياة باستمرار، لمعرفة أسباب الانغماس في المشكلات، فإن الوهن مرض وبائي اجتماعي معيق بصورة عامة عميقة، وإذا أدرك الإنسان ذلك حينئذ يكون قد وضع قدمه على الجادة، أما إذا لم يستفد الإنسان من هذه المزايا أو لا يُشعِر نفسه بضرورتها، فإنه سيظل كالماء الراكد أسير عادات بيئته وتقاليدها، أو أسيرا لرغباته وشهواته التي لا تتوقف عند حد.

المبحث الأول: من مسببات الوهن وآثارها.

حينما يقرأ الحصيف عن مسببات الوهن ثم يرى أثرها في الواقع، يتبين له مدى فداحة خطره وبشاعة نتائجه على حياة الإنسان في الدارين، يوقن جازما بأن الأمر يستوجب الانتباه، لكون وراء الدنيا حياة مرهونة بسعي الإنسان: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (النجم 39،40) تسييرا للحياة وتوفير متطلبات التوازن ببذل قصارى الجهد في دنياه لتحقيق مقاصده باتباع هذا النظام غير متكل عليه، ولا تاركا للحظوظ تتصرف، أو للأقدار تدبر ما قصر فيه، فكان من نتائج هذه الانتكاسة تأثر الأمة في الثوابت التالية:

أولا: تأثر العقيدة:- إن نور العقيدة في القلب انشراح ويسر وطمأنينة وظل ممدود يجد الإنسان في قلبه الوضوح في نفسه وفي نواياه وخواطره وفي كل ما يجري حوله في كل شأن وأمر، وفي استقبال الأحداث واستدبارها يجد الطمأنينة والثقة واليقين في كل حالة

وحين، وحين يضعف النور أو يتحطم السياج يتسرب ما لا يحمد عقباه كالتخبط والعثار، الفشل والانكسار والانتشار والخوف من كل جانب: {وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ} (الأنعام 153) ومن آثار ضعف العقيدة:

أ- ضعف الرأي والعزيمة: بفساد الاعتقاد يختل الرأي ويتذبذب لا إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، أو تُحوّل الأفكار بإثارة اختلاف حول أمور تافهة، أو بإحداث جدال حول الهوامش، يتبعه صراع محتدم في قضايا تعد من ثوابت الإسلام أو من رواسخ سبل الطموح والنجاح، أو وطائد النبوغ والتميز، فتنصرف العزيمة ضعيفة إلى وسائل غير مجدية، وهذا من نتائج تأثر العقيدة لكونه يلجأ حين الشدائد إلى أسباب واهية إلى مَن هم يحتاجون إلى الله، ويتصور النفع والضر والعز والذل والرفع والخفض من غير الله، وهذا أقرب شبها بما جاء في قول الله: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ} (الأنفال 22).

ب- المخالفات: حرص الإنسان في تحقيق مطالبه ورغباته، قد يوقعه من حيث لا يدري في المشتبهات والموبقات ويغفل عن شؤم عقوبتها، ولمثلها خاصة المخالفات الجلية آثار وخيمة ونتائج أليمة، أعظمها فقدان الإحساس بموت القلب: {كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ} (المطففين 14) وأقلها تورث العبد ذلة وخيبة واستكانة، ومن أخطرها تخون النفس صاحبها في أمس لحظات العون فيترقب وقوع مكروه ممن حوله، وهذا من نتائج تأثر العقيدة لكونه لم يغالب رغباته على حساب تقييد حريته بمتابعة تعاليم الإسلام، يعقبه حرمان الهداية: {أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاء أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ} (الأعراف 100).

ج- الرهبة: بتضخيم شأن الأعداء وإلباسهم لباس القوة والقدرة، وإيقاع في النفوس بأن لهم الحول والطول يملكون الضر والنفع والبطش، حتى ظن بعض الوهناء بأنهم أبطال لا يقهرون، وأسلحتهم نافذة قاذفة لا يقوم لها قائم، نتج عنه التثبيط والتوهين، وانتشرت رهبتهم في الصدور مع امتلاك القوة المادية والمعنوية، وأصبح بعضهم يتعلق بمقدار ما يملك من العدة والعدد، وهذا من نتائج تأثر العقيدة فيلتمس بعضهم فيهم المنعة والعزة

والنصرة: {فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى اللّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ} (المائدة 52)[47].

د- الخــوف: ضد الأمن، توقع مكروه عن أمارة مظنونة أو معلومة، وبسبب تأثر العقيدة يستحوذ الخوف فيصيب القلب والوجدان بجميع أشكاله وأحواله فيفقده الثقة، ينتج عنه تخيلات ووساوس نفسية، أوهام وخرافات، تطير وشؤم، يصبح المصاب به شخصا ذاهلا يمتلكه الجزع والفزع، تظهر علاماته في تصرفات العبد بضعف العلاقة بالله، ويستقبل حياته في جميع مناحيها بالضعف والهزل والتقهقر، وقد ينقلب مرضا حسيا يداخله الإحساس بالخوف فيتوتر ويخفق منه قلبه، فيتوهم أنها مقدمة مرض خطير، وهذا معنى من معاني الوهن لكونه يحطم الهمة ويقطع الصلة والتعلق بالله والتوكل عليه عملا واعتقادا: {قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللّهُ لَنَا} (التوبة 51) [48] ويفقد الثقة والاستعانة بالله تعالى وبمعيته.

هـ- ضعف الانتماء: وهذا من دلائل ضعف الروح، وحين يصاب الإنسان به يخيل إليه أن مَن حوله مثله ضعفاء، فيتخايل الخيانة والإخلاف والغدر ويحس بالخذلان، بالتالي يدب داء التفكك في الصفوف وتبدأ انفصام عرى الولاء والنصرة فيما بينهم، يتبع ذلك التنكر للإسلام بإيجاد صلات وروابط مع مَن يتصور فيهم القوة والمنعة [49] وهذا يعد معنى من معاني الوهن لكونه طريقا لظهور أفكار هدامة: روابط ودعوات مخالفة لروح الإسلام، والتزلف للأعداء بإحلال قوانينهم محل الشريعة الإسلامية، والتشكيك والطعن في الكتاب والسنة.

ثانيا:- تأثر العــبادة: العبادة تشمل جميع أنشطة حياة الإنسان، وهي تمثل روح الإسلام وإحساس صادق بعظمة الله تعالى وبسلطانه وقدرته وغناه عن خلقه واحتياج جميعهم إليه، وتعبير صادق للعبودية والخضوع والتذلل والإذعان بالولاء لله تعالى، وهي أساس كرامة الإنسانية تحفظ توازنها وصحتها وصفاءها وتميزها عن سائر المخلوقات: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ} (الأحزاب 72) فهي تبرز خصائصه العليا الكامنة وتطهره من الغرائز

السفلى، وهذه نتائج حتمية تزيد من قدرة التحمل والصبر لمواجهة الصعاب والهدوء النفسي، ولها أثر فعال في تقويم الأخلاق وتزكية النفس وتوجه وجهة نافعة مرتكزة على الصلة بالله والتعرف إليه، وفي سبيل تحقيق هذه الغاية أوصى الله عباده بالفضائل وحذرهم من الرذائل، وحينما يصاب الإنسان بالوهن الروحي ويجانب قصده وصوابه فينتج عنه:

أ:- تأثر النية: بحيث تنقلب الموازين فيبتغى بالعمل والنية محض الدنيا من كل وجه، تقاس جميع الأعمال والأقوال بنظرة مادية ومصالح شخصية، ولا يخطر بالبال احتساب الأجر على الله، لا قيمة للإخلاص والمباديء والقيم، ولا فائدة من العبادة عامة مضيعة للوقت والجهد إن لم تحقق عوائد مادية بجلب المنافع العاجلة أو بدفع المصائب.

ب:- اختلال الأولوية في الأعمال: كتقديم الفضوليات على الأساسيات أو النوافل على الفرائض، أو انتهاز بعض فرص المواسم معتادة لدى العوام، أو بتقديم العمل المفضول على الفاضل، أو العمل المؤقت على الدائم المستمر، أو تصور زيادة الأجر فيما يشق على النفس ويضنيه، مقابل عبادات كثيرة الأجر قليل المشقة: (كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم) [50].

ج:- إيثار المادة: على أنها هي المعنية المعينة الباقية، وأن العبادات استقطاع للوقت دون فائدة، فتقل الرغبة فيها وتنصرف إلى ملذات الدنيا أكثر، فلا يبالي إن هو فرّط في دينه مقابل دراهم معدودة أو مناصب موهومة، وقد يكون دينه أول ما يدفعه ثمنا لشهواته: {كَلا بَلْ تِحبُون العاجِلَة وَتَذرُون الآخِرَة} (القيامة) {بَلْ تُؤثِرون الحَياةَ الدُنيا} (الأعلى).

د:- الكسل: يذهب آفة الوهن بسماحة أهل الإيمان، استثقال العبادات بموت المشاعر الدينية والتهاون بالأركان والواجبات، الاستهانة بالمكروهات والمشتبهات، التكاسل أو ترك الأوراد والراتبة والنوافل والمستحبات، يعقبها التخلف عن حضور صلاة الجماعة إلى الحضور أدبار الصلوات إلى تركها بالكلية، يتدرج إلى تأخير الصلوات وقد تخرج

عن وقتها، عدم الحزن أو التأثر أو محاسبة النفس على فواتها ابتداء من التفريط في عمل اليوم والليلة، ضعف الغيرة على دين الله ضعف رابطة الأخوة الإيمانية، إهمال الآداب الاجتماعية واستبدالها بروابطة مادية، ويغدو الانشغال بحق المسلم مضيعة للوقت حتى يتبدل الجهد في أمور تافهة.

ه:- عدم الثبات: يتفاقم الأمر بدءا بتغيير العبادات بعادات أو تحريفها بالزيادة أو النقصان أو التجويز أو التحريم بمستحسنات العقل والعادات، اهتمام بالمظاهر بدلا من إصلاح البواطن، استبدال أجواء الإيمان بالانشغال بملذات الدنيا والحرص والسعي لها، التحول عن منبر الدعوة والرفقة والبيئة إلى الدعاية، أماني خيالية نسيان الآخرة وتسويف في التوبة، استبدال العلم النافع باتباع الهوى وبطلب ثقافة تافهة، الإفراط في الكلام والطعام والمنام والخُلْطة، والنظر إلى من هو أسفل في العلم والطاعة والعبادة ثم الموازنة بالأفضلية والسبق، عدم الاستقرار والثبات على مبدأ كالتحول من عمل مثمر أو من مجموعة النوابغ أو الشيخ المؤثر أو عدم إتمام كتاب مفيد، وهذا من نتائج الوهن استبدال الذي أدنى بالذي هو خير، يتبعه عدم التفكر في نهاية الدنيا وضعف الاستعداد للقاء الله.

و:- الاستهانة بالإهانة: احتقار الصغائر بكونها تغتفر بأعمال اليوم والليلة لا يترتب عليها وعيد أو تعزير، والتمادي حتى الاستخفاف بالكبائر، فإما أن يستخف بنفسه ظالما لها، أو يستخف بعمله أو بنوع اقتراف المخالفات حتى الإلف، أو بعقوبتها كونها تمهد إلى ارتكاب الكبائر، أو أن الصغائر إذا صدرت بطغيان وعمد تبدل إلى كبائر، أو الجرأة على ارتكابها بفقدان الشعور مستهينا مستخفا بها على أنه لم يفعل شيئا، ونسيان أن الذنوب في جميع الأحوال معصية لله تعالى بكل أشكالها، ثم لا يحذر من الاستخفاف بالله تعالى.

ثالثا:- تأثـــر العـلم: العلم نور وبصيرة وإدراك، كله محمود مطلوب لاحتياج البشر إليه لتعلق مصالحهم به، وهو من تكريم الله تعالى للإنسان ليميزه عن سائر المخلوقات، وتفاضل الناس بالعلوم والعقول لا بالأموال والأصول: {قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ

وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ} (الزمر 9) ثم معيار التفاضل والتفاوت بين المتعلمين: {يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ} (المجادلة 11) وهذا توجيه رباني بطلب علو الهمة وإزاحة معوقات هذا الطريق، ومن أكبر معوقاتها الوهن وهو يشمل: الغفلة بالانشغال عما لا ينبغي، والعجز والكسل عما لا ينبغي إهماله، وتضييع الأوقات بالتعلق بالمستهترات والتوافه، ثم الاستغراق في مطالب الدنيا بتلبية الرغبات بما يهوى وتميل إليه النفس، ولخطرها قد استعاذ النبي ε منها: (اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال) [51] عندئذ يؤثر الوهن في العلم في الأمور التالية:

أ:- في تحصيله: العلم رأس العبادات، ومغريات الحياة وشهواتها تصرف ذكاء الإنسان عن المقاصد النبيلة والأماني الجليلة إلى الترهات والخوض في سفاسف الأمور وإلى الملهيات الصادة عن المقاصد الهادفة الجادة، والتقلب في الترف والإغراق في النعيم والانغماس في الملذات عائق يفقد المرء الصبر والاصطبار لنيل حياة السؤدد والظفر بسبل الغايات الحميدة التي لا تكتسب إلا بتحمل المشاق وجوب الصعاب والحرمان من الراحة: (حُفّتِ الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات) [52] ومن لم يصبر على ذل التعلم بقى عمره في عماية الجهل، ومن اصطبر آل أمره إلى عز الدنيا والآخرة، وإذا استخسر الإنسان البذل لتعبيد طريق السعادة الأبدية ركبه العثار في كل خطوة وتاه في غمرات التخبط والاضطرابات، ومجانبة الأفاضل باستطالة نظر سوء إليهم، وظن الظنون المريبة فيهم من أعظم أسباب الحرمان والخسران، والأمنيات الغالية لا تدنو بالأحلام، أو تجتنى ثمارها قبل نضجها، وتبقى الغايات الحميدة بعيدة المنال حتى يدنيها المرء، وقد تأبى الدنو وتكرار المحاولات تقربها حتى وإن طال الزمان، ومن ظن أنه سيحصد الحصاد قبل أوانه اتهم بالسفه، ولن يبلغ المرء القمم حتى يحمل المحبرة والقلم، ويثني ركبيتيه في حلقات رياض العلم، وأسوأ الناس مآلا في هذا الباب من نأت همته، واتسعت أمانيه، وقصرت ملازمه وقلت مقدرته.

ب:- في اختياره: يبقى العلم بجميع صوره وأضربه عاليا غاليا ثمينا، غير أن بعض العلوم كفائية مع ذلك لو أهملت عم الإثم جميعا، وبعضها عينية لا غنى للبشر عنها كعلوم الدين وما يتفرع عنه، ويتوقف اختيار الأصلح والأوجه على مدى بصيرة الإنسان وبعدها وعلى مدى حصافة عقله وإدراكه، وسعة فكره بإدراكه للحقائق على وجهها، وسمو همته واتساع أفقه فيما هو أكثر احتياجا وأعم نفعا.

وحينما يصاب الإنسان بلوثة عقلية أو هزيمة نفسية فإنه يخيل إليه الضئيل الهزيل مغنما سمينا، فيصرف همته في طلب علوم تدني المادة وتدر النفع على أنها هي محط الأنظار ونهاية الأماني والآمال، وحولها تفنى النفوس وتبذل الجهود، وليس بعدها مبتغى أو مرتجى، ومن سلك هذا المسلك فقد البصيرة والتمييز بين الباقي والفاني، وغفل عن الوعيد في حق من تعلم شيئا من العلوم الشرعية التي يبتغى بها وجه الله لينال بها الدنيا أو الشهرة، قال: (من تعلم علما مما يبتغي به وجه الله عز وجل لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف الجنة يوم القيامة) يعني: ريحها [53] في رواية: (من طلب العلم ليماري به السفهاء أو ليباهي به العلماء أو ليصرف وجوه الناس إليه فهو في النار) [54] في رواية: (لا تعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولا لتماروا به السفهاء ولا تخيروا به المجالس، فمن فعل ذلك فالنار النار) [55] ومعلوم أن الطب في ذاته ومن حيث عموم نفعه واحتياج المجتمع يتبوأ مكانة رفيعة، ويكسو العليم الحاذق هيبة، فلا ينبغي قصر الهمة عليه ماديا، وإلا انتفى الفرق بين المسلم وغيره [56].

ج:- في ثمرته: فهو كالنجوم يهتدى به، وبمنزلة الشجرة المثمرة النافعة، وقد قيل: العلم ما نفع، وقد لا يثمر العلم إما ألا يفيد أصلا أو لا يستفيد الإنسان منه لأسباب: إما لعدم تعظيم قدر العلم بمعرفة منزلته في الدنيا والآخرة، أو عدم الأهلية كالإصابة بالوهن أو فقدان العزيمة أو كقسوة القلب وغلظته وجفائه فلا يؤثر فيه العلم، أو قيام مانع كحسد وكبر أو انقياد كاليهود وكفار قريش، أو مانع الجمع بين الانقياد والرياسة والملك كهرقل وفرعون، أو مانع الشهوة والحرص والمال، أو محبة الأهل والأقارب والعشيرة

وإيثارهم، أو محبة الدار والوطن، أو تخيل جلب الذم والعار والطعن على القرابة، أو مانع الإلف والعادة والمنشأ.

وقد لا يثمر العلم نفسه إما لعدم جدواه أصلا كعلم السحر والشعوذة، أو القصص والروايات الخيالية الخرافية، أو ما كان مصدره غير الكتاب والسنة، أو ما كان عن طريق الحدس والتخمين، فثمرة العلم لا مجرد زيادة المعلومات لحيازة الألقاب, ولكن ليسمو بتطبيقه في مدارج الفضائل ويتجنب طرق الرذائل، ومن يطلب العلم لأعراض الدنيا فليس له إلا ما أراد ولن يبارك في علمه، بل من معاقبة الله تعالى للعبد حرمانه العلم, ومن سخطه حرمانه العمل وتلزم صاحبه الحجة، فإما كاليهود مغضوب عليهم علموا ولم يعملوا، أو كالنصارى ضالين فقدوا العلم والبصيرة وتخبطوا وعملوا على غيرة بصيرة كمثل الحمار يحمل أسفارا.

د:- في مدخرات الحياة: يعني بقاء ذكر الإنسان حيا وميتا [57] قد يضل ويغتر بعضهم في هذا الجانب من حيث النية فيغفل عن مفهوم قوله تعالى: ﴿وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى، وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى﴾ (النجم 39- 40) وحين تضعف الهمم متأثرة بزخارف الدنيا وبهجتها أو تنهار العزيمة بمسايرة بهارج المجتمع، أو تقاس الحياة بحياة الهازلين أهل الترف، أو مشاهدة من سبق في مضمار مقتنيات أرقى متع الحياة، فينصب السعي بمسابقتهم بتتبع أسبابها كالشهادة، أو توفير العيش الرغد كيفما صادف، أو نيل الشهرة لغرض الثناء، أو النفوذ لأمر شخصي أو يتخذ سلما معبرا إلى المبتغى الدنيوي، فهذا ليس له سوى ما نوى وما له في الآخرة من نصيب.

رابعا:- تأثر سجايا النفس: السجية: خلق النفس دينها مروءتها سكونها صورتها الباطنة النفسيه طبعها طبيعتها التي خلقت عليها، وأوصافها ومعانيها المختصة بها بمنزلة الخلق لصورته الظاهرة وأوصافها ومعانيها، عن الجرجاني: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر ورويَّة، فإن كان الصادر عنها الأفعال الحسنة كانت الهيئة خلقا حسنا، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة سميت الهيئة التي هي مصدر ذلك خلقا سيئا [58].

وقال الراغب: خص الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة [59] المقصود بها هنا هو كل ما يتصل بعمل المسلم ونشاطه سواء تجاه ربه أو تجاه نفسه أو تجاه من حوله من إنسان أو حيوان أو جماد، والسجايا إما أن تكون غريزة وطبعا إذا اتزنت تصرفات النفس واعتدلت فطرتها، وقد يكتسبها الإنسان بالرياضة والاجتهاد فإذا حمل نفسه على امتثالها وتعاطيها وواصل متابعتها والعناية بها تصبح ملكة وخلقا، وتعتبر سجايا النفس من المحاسن المكملة للإنسانية، فإذا تغافل الإنسان عن متابعتها بما يزكيها وينميها تراجعت مضطربة، وأسباب ذلك متعددة كالاغترار ببعض مفاتن الدنيا، أو بسبب ضيق الصدر الناتج عن الكبر والخيلاء والعجب بالنفس، وقد يكون نتيجة لؤم الطبع بسبب دناءة النفس فيستحسن الأخلاق القبيحة على أنها الحق والجميل، أو تضطرب موازين الحق فلا يميز بين الحق والباطل والجميل والقبيح، أو بسبب النشأة حيث تربى على مساويء الأخلاق حتى يرى الفضيلة في كثرة الشر ويباهي به ظنا منه أن ذلك يرفع قدره ويعلي شأنه، وقد يغتني الإنسان بعد شدة ولؤم الطبع يغير أخلاقه، فيسوء تصرفه مع الله ومع الناس، كما ذكر الله عن الفقير الذي تغير فقره إلى غنى: {وَمِنْهُم مَّنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِن فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ فَلَمَّا آتَاهُم مِّن فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُم مُّعْرِضُونَ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقاً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ} (التوبة 75، 76) ومن أبرز ما تتأثر به سجايا النفس حتى يظهر على صاحبه عدة مظاهر واعتبره الإسلام اضطرابا وزعزعة نفسية منها:

أ:- الاستعجال: خلق الإنسان عجولا لذا فهو مولع باستدناء نتائج أعماله، مع أن لكل شيء أجلا وقانونا كونيا يخضع له ويحكمه تجري عليها بحساب وقدر، فإذا أبطأت عليه تضجر ونفد صبره وضاق صدره، وتتأثر سجايا النفس ويضعف النشاط أو يتراجع عن أداء كثير من الأعمال، وقد يؤثر "الوهن" تأثيرا بالغا بحيث يترك العمل أصلا لكونه لم يشاهد نتائج أعمال كان منتظرا عوائد مادية يتطلع إليها، أو مكافأة كان يتحينها، أو ثناء كان يترقبه، ومثل هذا لا يحصل إلا من إنسان اضطرب طبعه بسبب إصابته بـ "الوهن": {فَإِنْ أُعْطُواْ مِنْهَا رَضُواْ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ} (التوبة 58).

ب:- قلة الصبر: تتابع الأذى أو طول البلاء أو توالي الابتلاء يوهن النفس ويفقد الأمل، وأشد البلاء على النفس الابتلاء بالخير لكون الإنسان يرى أنه أهلا لذلك، وهذا غاية في ضلال الفكر وكلال الفهم: {فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ} (الفجر 15) مع أن تقدير المواقف وإعطاءها حقها بما يلائمها يمرس الإنسان على تخطي العقبات وجوب الصعاب، ويعطي ثقة وثباتا وأملا، والنفس بكل ما يحيط بها من تقلبات تحتاج إلى مساند يقف بجانبها يقيها الزلل يوفقها للثبات، إذ الحياة لا بد لها من ثمن ومن ظن أنها محفوفة ببساتين أو تجري من تحتها الأنهار وفيها ما تشتهيه الأنفس، فليوقن أن "الوهن" قد وجد إليه سبيلا، وأن الضعف قد أخذ منه مأخذا ذريعا، ولعل هذا الحسبان أو الوهم إنما يداخل نفوس بعض من اضطربت لديه الحسابات واختلطت عنده المقاييس.

ج:-احتقار النفس: فشل الإنسان أو هزيمته في تحقيق أمر أو ردة فعل جراء خطأ يحبطه ويفقده الثقة، ويبالغ في احتقار إمكانياته حتى يخيل إليه أن لا قيمة لإنجازاته ولا أمل في نجاحه وأنه دون مستوى القيام بالمهام، حتى ييئس من صدور عمل يسد ثغرة في ميدان العمل، فإذا أقدم على عمل شك في مقدرته وارتاب في إمكان نجاحه، فهذا الشعور بالإحباط سببه الإصابة بداء الأوهام والوهن والضعف الذي قيد مواصلة المحاولة واستصغر شأن الذات، واستحقر الملكات والمواهب، نتج عنه قتل الطموح وفقدان الثقة بالنفس، حتى تتقيد الحرية وبرزت عوائق تقف في وجه الإنسان فلا يستطيع التوجه لأي أمر من الأمور.

د:- مقومات النجاح: قد يؤدي سيطرة الوهن وتسلط الاستكانة على النفس بسبب الخوف بالتقصير الأخذ بمقومات النجاح وبأسباب التفوق، أو التشبث بالتقاليد والعادات السائدة تمنع الالتفات إلى التغيير بإصلاح الأخطاء ومعالجة مواطن الأدواء، وقد تصاب النفس بالتشاؤم أو الغرور فيتفاقم مرض الوهن فيتعدى إلى اعتقاد السوء في المجتمع على أنه سبب الخسارة والفشل وقتل التفوق، أو بسبب الرفقة المخذولة تتصور النجاح طريقا شاقا نهايتها الخسارة، ينتج عنه بعض المفاهيم والأعمال الخاطئة كعدم الاقتناع بمقومات

النجاح التي منها: الإخلاص والجد والإنتاج بأن ذلك لا يمنح تقديرا، وأن الأفكار النافعة والكلمات الصادقة والحياة النظيفة مضيعة لا تجلب نفعا ولا ترفع ذكرا، حتى يتبلد الإحساس فيستوي ميزان الفشل والنجاح، والخطأ والصواب، والتفريط والعناية، والاهتمام والإهمال، يؤدي ذلك عدم المبالاة بالمحافظة على الأخلاقيات أو الثبات على المبدأ في التصرفات، عدم الاهتمام والاعتناء بالحقوق إهمال بالواجبات، كالبهيمة همها انتظار العلف آخر النهار، وغالب الهزائم تتسرب من معنويات الفاشلين المهملين الذين يعملون بسبب ضعف إيمانهم بالله وبفقدان الثقة به تحت التهديد بالعقاب، وبعض النفوس بسبب العجز النفسي أو بضعف الاستقامة أو بسبب البيئة والعوامل الوراثية تتصور الصعوبات فلا تثابر كي تصل إلى المستقبل المشرق، تبقى على الأبد مدفونة المواهب ميتة المهارات والابتكارات، فتعرض عن التحول إلى الأجدر، أو تنفر من تكرار المحاولات، ومن ثم إلى الفشل والإخفاق.

ه:- اضطراب الصحبة: قد يفقد الإنسان البصيرة في أمر الصحبة والمجالسة فلا يميز بين الصحبة السيئة التي تحسّن القبيح والعكس، أو تجره إلى الرذيلة والعكس، لعدم علمه بأهميتها وعظيم خطرها، ولا يكترث بضرر مجالسة المخذلين ومرافقتهم وإن جروه إلى الحضيض، فكلما هم الإنسان بالصعود عوق الموهنون همته بسحب سلالم الارتقاء من حيث لا يشعر، وثنوا عزمه من حيث لا يحتسب، تارة بالتخذيل وتارة بالتخويف أو بوضع العراقيل، فإذا أصيب الإنسان بـ "الوهن" وتغلغل في وجدانه الضعف لا سيما في مرحلة المراهقة وهي مرحلة انتقالية صعبة مضطربة العواطف والمشاعر، تختلط فيها موازين العقل والفهم، وتنحصر المدارك في الوصول إلى مبتغى النفس، فينقلب الطبع كالريشة في مهب الريح، لا يبالي بمن صاحب أو جالس، وقد قيل إن الطبع يسرق الطبع، والناس أشكال وللعدوى قانونها، يكتسب طبع جليسه بمقاله وفعاله ولو لم يشعر، ويستغل المغرضون أو البيئة تخليط الإنسان الإمعة، وقد ثبت أن التراجع أخف وأسرع من الإقدام، فإذا تحكم "الوهن" في تصرفات الإنسان فما أسرع انتقال القيم والمفاهيم الزائفة، بل إن الصورة تورث في النفوس أخلاق المنظور وأن الماء والهواء يفسدان

بمجاورة الجيفة، فكيف بالصحبة السيئة تقضي على الخلق والمثل، تنتج إنسانا غير صالح للمجتمع، وأبرز السلوكيات التي يكتسبها الوهين: العدوانية والتأخر الدراسي والسرقة والكذب والفساد، ويظل يسفل ويسفل حتى يصبح وبالا على نفسه وأهله ومجتمعه، وصدق الله: {وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ، وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} (الزخرف 36، 37) وما أصدق ما قال رسول الله: (الرجل على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل) [60].

و:- الإنتاج: "جملة من الفضائل إما مادية أو روحية صادرة عن علم ومعرفة" وهو سر وجود الإنسان ووظيفة استخلافه في الأرض، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الأَرْضِ} (فاطر 39) وقال: (إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون) [61] وإذا أدرك الإنسان أنه منتج فعليه القيام بوظيفته على أحسن وجه وإلا عد في نظر الشرع مقصرا مفرطا مضيعا، فما عمر الإنسان الحقيقي إلا ما يخلفه وراءه من الآثار وما يتركه على الألسنة من الثناء، وإنما المرء حديث بعده فليكن حديثا حسنا لمن وعى، وحينما تهن النفوس أو تقتصر النظرة بالانصراف إلى العاجل من المنافع، أو تضطرب البصيرة نتيجة عدم العناية والاهتمام بها في اختيار الأجدر، أو كان العمل في ذاته فاشلا أو لا يهدف إلى إنتاج، ينقلب الوضع من التنافس في طلب الفلاح إلى إيثار الحظوظ الدنيوية.

ز:- انتكاس البذل: الأصل فيه أن يكون بوجه يجلب النفع بكل أوجهه، ويدفع البلاء بكل أوجهه ويحقق الألفة والوئام، وهذا ما كان في سبيل الله خالصا مخلصا: {وَمَا آتَيْتُم مِّن رِّباً لِّيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِندَ اللَّهِ وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ} (الروم 39) وحينما يصاب الإنسان بالوهن النفسي والضعف الروحي فتنتكس مفاهيمه وتنقلب موازينه فينفق ويبذل على غير وجهه، كالإنفاق تزلفا أو رياء وسمعة، أو إسكاتا ودفعا لشر متوقع، أو حفاظا على ما بيديه، وقد يُقهر على الإنفاق صاغرا مراغما يحس بوهنه وضعفه إما على عدو أو على مهين كأنما ينتزع منه، وهذا ناتج عما زرعه الشيطان من تخيلات ووعود موهنة: {الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم

بِالْفَحْشَاء} (البقرة 268) وقد قال: (ولم ينقضوا عهد الله وعهد رسوله إلا سلط عليهم عدوهم من غيرهم وأخذوا بعض ما كان في أيديهم) [62] وقد يتوقع باستيلاء الوهن فقرا أو احتياجا أو ضيق اليد أو يخاف الإفلاس أو يتسرب المال بوجه غير معهود فيدب إليه الخوف والهلع: {إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا} (المعارج 19- 21) فيمنع حقه حفاظا عليه لمواجهة ملمات الزمان.

ح:- تأثر القيم والمثل: حينما تتأثر البيئة بحياة المثبطين المستهترين فإن وباء ذلك ينتشر في المجتمع بأسره، فأول ما تتأثر القيم والمثل لتصبح في نظر الناشئة مجرد عادات وشعارات لا اعتبار ولا قيمة لها توارثها الأصاغر ضمن الموروث عن الأكابر، وخطر ذلك يكمن من حيث أنهم يرون أن التجديد ومسايرة الواقع حتى وإن كان زائفا مطلب وغاية، وهذا الحرص من الإسلام لئلا يتدرج أفراد المجتمع إلى تناسي الإنسانيات، أو التنكر للحقوق التي يعتبرها الإسلام من صلب تآلف المجتمع واتصاله ببعضه، ومن هنا يجب ترويض الناشئة منذ الصبا على التمسك بالقيم والمثل، طلبا للمعالي ووصولا إلى المجد والسؤدد، وتجنبهم مخالطة المتقاعسين الموهنين للهمم، وتحذيرهم من قبائح أقوالهم وأفعالهم [63].

المبحث الثاني: الوهن ودسائس الإغراءات.

يقظة المسلم ومحاسبة خطواته الدائمة يجعله في حذر من الوقوع في شباك الإغراءات، وحينما ينعدم هذا التوجه بسبب "الوهن" فتنقضّ عليه مغريات الدنيا وصوارفها، فإن سلم من إغراء وقع في آخر، ومنشأ هذا يكمن في: (حب الدنيا) إما أن يكون حبها نابعا من ذات الشخص أو بعوامل خارجية كالمؤامرات، وقد أدرك المغرضون التشخيص الدقيق لمعنى داء: "حب الدنيا"جيدا، فضحوا لأجل غرس جذوره في المسلم، حتى ضحى بالقيم السامية متمسكا بما دونها إلى حد العبودية، والتكالب على ملذاتها حتى فاقهم في حبها بجعلها غاية من غاياته، وسخَّر في سبيل الوصول إليها وامتلاكها أكثر مقتنياته حتى تملكته هي وأصبح هو عبداً خادما لها، فاسترخص في سبيلها التعدي على الأعراض- كنتيجة حتمية لهذا الحب- وعلى دين الله في سبيلها، غير مبال إن هو فرّط

في دينه مقابل دراهم معدودة أو مناصب موهومة، وقد يكون دينه أول ما يدفعه ثمنا لدفع البلاء، ومصداق هذا قوله ε: (من أحب دنياه أضر بآخرته، ومن أحب آخرته أضر بدنياه) [64] ومن ينابيع الحكم: "حب الدنيا رأس كل خطيئة" لكونها أصل التثاقل إلى الأرض وسبب الانغماس في الترف المردي.

أدرك المتربصون مقابل حب الدنيا: "كراهية الموت" خطورة حب المؤمن الموت وإقدامه عليه في سبيل الحق بتقديم النفس والنفيس على وجودهم ومناهجهم، فاستنفذوا جميع وسائلهم بدءا بأساليب الإغراء بصرف الأبطال إلى طلب فتات الحياة، والسقوط في أحضانهم حرصا على متاعها ليكره الانتقال من العمران كنتيجة لحب الدنيا إلى خراب القبور، وفتحوا مصادر الانحرافات بصرف أثمن الطاقات من العقول والأوقات والمال والجهد لترويجها، وسهلوا سبل الوصول إليها بتذليل العقبات والعوائق أمامها، وبإفساد العقل ومسخ المفاهيم بتحبيب تقاليدهم ليحطموا بها إحساس المسلم، وباستيلاء حب الدنيا وكراهية الموت بشكل مفرط تختل مفهوم موازين الحياة، وتنتكس الأفكار لترسيم الأهداف والخطط، كالتشبث بالدنيا بتمني طول الأمل وقلة العمل على حساب القيم، وبذل الجهد في توفير الملذات إشباعا للشهوات، والاستكانة والخضوع بالابتعاد عن غوائل يتصور فيها الموت.

المبحث الثالث: أثر الوهن والضعف الخلقي.

خلق الإنسان بطبعه ضعيفا: {وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفاً} (النساء 28) ومن دلائل ضعفه أصل خلقته: {خُلِقَ مِن مَّاء دَافِقٍ} (الطارق 6) وأطوار خلقه: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفاً وَشَيْبَةً} (الروم 54) وتتجلى نسبة ضعفه أمام: شهواته وماله وأمام سلطته: {زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ} (آل عمران 14) والتعبير بـ{زُيِّنَ} يدل على أنه مغلوب عليها، إما المزين هو الله: {إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا} (الكهف 7) لتحقيق الابتلاء، أو المزين هو الشيطان: {فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ} (النحل 63) [65] لإفشاله في ميدان الابتلاء، وقد

يكابر الإنسان متظاهرا بالقوة والقدرة والإحاطة، وحين عجزه سواء قدرته على إنجاز عمل، أو عن التفكير وصولا إلى صواب، أو لا يمتلك حيلة وصولا لمبتغاه، يستسلم حينئذ مستكينا معترفا بضعفه وإن لم يظهر ذلك، فمن ضعفه يستكين لأقل متغيراته عندئذ يلجأ إلى الله، يصور القرآن الكريم لجوءه حال ضعفه إلى الله: {وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ} (النحل 53) بأن مفرج الكروب هو الله: {وَإِذَا مَسَّكُمُ الْضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلاَّ إِيَّاهُ} (الإسراء 67).

يصف القرآن الكريم حالة "عجز الإنسان" وذلك حينما قتل أحد ابني آدم أخاه أعجزه التفكير عن أن يواري سوأة أخيه: {قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَـذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءةَ أَخِي} (المائدة 31) وحالة "وهن" يصفها القرآن الكريم حينما يكون الإنسان في حالة استسلام تام كالأم تحمل طفلها يبلغ منها الضعف مبلغه: {حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْناً عَلَى وَهْنٍ} (لقمان 14) حتى أضر بالعزيمة فخارت قواها، والمعجزة التي أرادها الله لزكريا حال كبره وقد بلغ ضعفه مبلغا وهن منه عظمه وشاب رأسه حتى أقعده الوهن عن كل شيء: {قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْباً} (مريم 4) إلا أن هذه ليست حالات استكانة وعجز وفتور، فعجز أحد ابني آدم لم يكن انقطاعا أو توقفا عن بذل الحيل، والأم حينما تضع وليدها إنما هو بمثابة عنق الزجاجة، وزكريا حين لم يمنح الذرية رغم أسباب اليأس كوهن العظم وعقم امرأته، لم يكن ذلك نهاية المطاف ولم ينته أمله ولم ينقطع رجاؤه، فلم يصل وهنه درجة الاستكانة التي ينفيها الله عن الصابرين: {فَمَا وَهَنُواْ لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَمَا ضَعُفُواْ وَمَا اسْتَكَانُواْ وَاللّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ} (آل عمران1 46) فدل أن الاستكانة حالة وهن هي أقصى درجات الضعف والاستسلام وهي دليل الذل والمهانة، فلا يستسلم الإنسان للوهن بتبدل الأحوال والأيام ويقبله كخصلة حميدة، أو على أنها من أصل خلقته أو قدّرت عليه فيركن إليها.

يلاحظ من خلال واقع حياة المسلمين العملية، قصور في أداء الواجبات فضلا عن المستحبات، وهذا يدل على وجود خلل في الهمم، سواء من حيث التطلع إلى طلب المعالي، أو بمسابقة الأخيار في الخيرات، ولعل ذلك راجع إلى تفاوت همم الأنفس

ومقدار صبرها وصرامتها على تحمل مشاق إنجاز المهمات، وقد قيل: من علت هِمته طال همه، ويعد خلق الوهن لكونه من أرذل الأخلاق أساس القعود والتخاذل عن تحقيق مصالح الدين والدنيا، وقاعدة الفتور والاستكانة عن الطموح والتطلع إلى الأعلى، وإذا كان مقرونا بالجهل والغباء والحمق، كانت التصرفات مع الحياة العلمية والعملية غير حكيمة ونافعة، وحين يكون الوهن مسيطرا على النفوس فإن التصرفات تتبعها في النتائج، فما غفلت النفوس عن مراقبة الله واسترسلت وراء مطامعها، واستصغرت القيم وسمو النفوس، واسترخصت حياة العز والإباءة، وما قتل طموح الشباب وهممهم إلا الوهن، وما توانى أهل الدعوة إلا بسبب الفتور، وكان من أعظم انقطاع الشيوخ عن مواصلة سير رحلة الطاعة فيما تبقى من العمر الاستكانة والضعف، وما اكتفى الموهنون من طلب المزيد من خيري الدنيا والآخرة إلا بسبب ركونهم إلى الوهن.

وصلي الله على سيدنا محمد.

الهوامش

[1] صحيح مسلم جـ2052/4.

[2] صحيح مسلم جـ1/ 74.

[3] معجم مقاييس اللغة لابن فارس جـ649/2.

[4] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (887).

[5] لسان العرب (وهن) يقال الوَهْنانة: المرأة القليلة الحركة الثقيلة القيام والقعود (معجم مقاييس اللغة جـ649/2).

[6] سنن أبي داود جـ111/4، مسند أحمد جـ359/2، جـ278/5، شعب الإيمان للبيهقي جـ297/7، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه وإسناد أحمد جيد جـ287/7.

[7] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (731) لسان العرب لابن منظور (س ك ن).

[8] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (277) لسان العرب لابن منظور (خ ذ ل).

[9] انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب (186) لسان العرب لابن منظور (ج ب ن).

[10] لسان العرب لابن منظور (خ م ل).

[11] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (506).

[12] انظر مفردات ألفاظ القرآن للراغب (547) لسان العرب لابن منظور (ع ج ز).

[13] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (622).

[14] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (711).

[15] الفروق للعسكري جـ330/1.

[16] الفروق للعسكري جـ330/1، وانظر: لسان العرب لابن منظور (ض ع ف).

[17] الفروق للعسكري جـ330/1.

[18] الفروق للعسكري جـ330/1.

[19] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (547) الفروق للعسكري جـ330/1.

[20] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (سبب).

[21] سنن أبي داود جـ111/4، مسند أحمد جـ359/2، جـ278/5، شعب الإيمان للبيهقي جـ297/7، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه وإسناد أحمد جيد جـ287/7.

[22] صحيح مسلم جـ2273/4.

[23] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (819).

[24] سنن الترمذي وقال: حديث حسن غريب جـ395/7، المستدرك للحاكم وقال: حديث صحيح الإسناد جـ710/1، وانظر تفسير ابن كثير جـ203/2.

[25] صحيح مسلم جـ353/1.

[26] صحيح البخاري جـ114/10، صحيح مسلم جـ1994/4.

[27] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (166).

[28] مسند أحمد جـ243/5.

[29] سنن أبي داود جـ75/4، المستدرك للحاكم جـ51/1.

[30] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (ف ش ل).

[31] صحيح البخاري جـ431/9.

[32] هذه تشبه نظرة أصول الأخلاق الفكر الغربي المادي، الذي ينفي الصلة بين الأخلاق والدين، وأنها مسألة نسبية اعتبارية منبعها المصالح والحاجة تختلف باختلاف الأحوال، وأن سلوك الإنسان وإحسانه أناني مفطور على مبدأ المنفعة الذاتية، وأنه أسير اللذة والألم وهما يتحكمان في حياته بجلب المنفعة الشخصية أو فواتها، ولن تستقيم حيات الناس أو يحققوا التقدم والنجاح إلا بنزع هذه العواطف من أنفسهم، وهذا عندهم من مبررات التمرد بإدخال التقاليد والأحكام المنحرفة على أصول الأخلاق الحميدة، كما لا يلزم الأمير أو الرعية التحلي بالفضائل والقيم فهي مجرد خرافات لا تغير من واقع الحقيقة تهدف إلى رعاية الغوغاء ولكن يتظاهر بالاتصاف بها، وتبقى لتحقيق مصالح أو دفع مضرة شخصية حتى وإن التزم بها بعضهم في بعض الأحوال كالصدق والأمانة، واحترام الأنظمة، والانضباط فهو التزام ظاهري خوفا من عقوبة القانون، تنعدم بانعدام الرقيب، وليست أصيلة فيهم بدافع ديني رجاء الثواب كأصول الأخلاق الإسلامية كتخلي المسلمين بها.

[33] صحيح مسلم جـ2279/4.

[34] سنن أبي داود جـ111/4، مسند أحمد جـ359/2، جـ278/5، شعب الإيمان للبيهقي جـ297/7، قال الهيثمي: رواه أحمد والطبراني في الأوسط بنحوه وإسناد أحمد جيد جـ287/7.

[35] صحيح مسلم جـ2098/4.

[36] سنن الترمذي جـ611/6، المستدرك على الصحيحين للحاكم وقال: صحيح جـ341/4.

[37] صحيح البخاري جـ320/7، 243/11، صحيح مسلم جـ2273/4.

[38] صحيح البخاري جـ81/6.

[39] صحيح البخاري جـ392/7، صحيح مسلم جـ1431/3.

[40] سنن الترمذي وقال: غريب جـ3/7، المعجم الأوسط للطبراني جـ57/8، قال الهيثمي: فيه عمرو بن واقد وقد ضعفه الجمهور، وقال محمد بن المبارك: كان صدوقا وبقية رجاله ثقات. مجمع الزوائد جـ286/10.

[41] صحيح مسلم جـ1996/4.

[42] مسند البزار جـ315/7، المعجم الكبير للطبراني جـ166/8 ، جامع العلوم والحكم جـ438/1، قال ابن كثير في تفسيره: رواه ابن حبان في صحيحه. جـ124/1، مجمع الزوائد جـ72/4، فيض القدير جـ451/2.

[43] صحيح مسلم جـ2273/4.

[44] سنن الترمذي جـ155/7، 156، المستدرك للحاكم وقال: صحيح جـ125/1.

[45] صحيح مسلم جـ2052/4.

[46] المستدرك للحاكم وقال: صحيح جـ341/4.

[47] انظر جامع البيان للطبري جـ184/4.

[48] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (303).

[49] انظر الولاء والبراء د- محمد سعيد (9).

[50] صحيح البخاري جـ537/13، صحيح مسلم جـ2072/4.

[51] صحيح البخاري جـ317/2، جـ35/6، صحيح مسلم جـ2079/4.

[52] صحيح البخاري جـ320/11، صحيح مسلم جـ2174/4.

[53] سنن أبي داود جـ323/3 (3664) المستدرك للحاكم جـ160/1، مسند أحمد جـ338/2.

[54] سنن الترمذي وقال: غريب جـ346/7 (2654).

[55] سنن ابن ماجه جـ93/1 (ح: 253- 254)، المستدرك للحاكم جـ161/1.

[56] إحياء علوم الدين للغزالي جـ16/1.

[57] انظر: صحيح مسلم جـ 1255/3.

[58] التعريفات للجرجاني (سجي).

[59] مفردات ألفاظ القرآن للراغب (سجي).

[60] سنن أبي داود جـ259/4 (ح: 4833) سنن الترمذي وقال: حسن غريب جـ41/7، 51، المستدر للحاكم جـ188/4.

[61] صحيح مسلم جـ2098/4.

[62] سنن ابن ماجه جـ385/2، المستدرك للحاكم جـ583/4، وانظر مجمع الزوائد جـ317/5.

[63] صحيح البخاري جـ145/1، جـ734/8، 510، جـ34/5، صحيح مسلم جـ2164/4، 1829، جـ1291/3، وانظر: سنن أبي داود جـ286/4 (ح:4943)، جـ261/4 (ح:4843)

[64] المستدرك للحاكم وقال: صحيح جـ343/4، مسند أحمد جـ412/4.

[65] انظر فتح القدير للشوكاني جـ322/1.